المدارس القرآنية الصومالية وجهودها في نشر الثقافة الإسلامية (مدرسة دار القرآن في بونت لاند أنموذجا)

د. هاشم حسن هاشم*

مستخلص

تتناول هذه الدراسة وصفاً للمدارس القرآنية في الصومال، المعروفة محلياً باسم (الدُّكسي)، وهي المؤسسات التي يُرسل إليها الأطفال من سن الخامسة لتعلُّم القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً، إلى جانب دراسة مبادئ الإسلام الأساسية كالصلاة وأحكامها. وتهدف الدراسة إلى بيان دور هذه المدارس في ترسيخ الثقافة الإسلامية في عقول الناشئة، وتنمية القيم الدينية في المجتمع الصومالي. اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي، مستعيناً بالمقابلات الشخصية والملاحظة الميدانية بوصفهما أداتين رئيسيتين لجمع البيانات. وتوصلت النتائج إلى أن المدارس القرآنية في الصومال تمتلك إرثاً تاريخياً عريقاً في خدمة القرآن الكريم وتعليمه، ولها إسهام بارز في نشر الثقافة الإسلامية من خلال غرس القيم المستمدة من التراث الإسلامي، مثل الصدق، والشجاعة، والمحافظة على الصلوات والشعائر. كما كشفت الدراسة عن وجود جملة من التحديات التي تواجه هذه المدارس، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، أبرزها ضعف الإمكانات المالية، وغياب التخطيط الاستراتيجي، وضعف الدعم والرعاية الحكومية.

وتوصي الدراسة بضرورة دعم المدارس القرآنية ماديًا ومعنويًا لتطوير أدائها واستدامة دورها الثقافي والتربوي في المجتمع الصومالي.

الكلمات الافتتاحية: المدرسة القرآنية، الكتاتيب، الخلاوي الصومالية، الثقافة الإسلامية، الصومال، ولاية بونت لاند.

* أستاذ مشارك في الدعوة والثقافة الإسلامية ورئيس قسم الدعوة والسيرة بكلية الدراسات الإسلامية، جامعة أفريقيا العالمية.

Abstract

This study provides a descriptive account of Qur'anic schools in Somalia, locally known as *Duksi*. These institutions receive children from the age of five to teach them the memorization and recitation of the Holy Qur'an, alongside basic principles of Islam such as prayer and its rulings.

The study aims to highlight the role of these schools in instilling Islamic culture in the minds of the youth and in nurturing religious values within Somali society.

The researcher employed descriptive, historical, and analytical methodologies, relying primarily on personal interviews and field observation as key tools for data collection.

The findings reveal that Qur'anic schools in Somalia possess a long and distinguished heritage in the service and teaching of the Qur'an. They have played a vital role in promoting Islamic culture by embedding values derived from Islamic tradition—such as honesty, courage, and adherence to prayer and religious observances.

Furthermore, the study identifies several internal and external challenges confronting these schools, notably financial constraints, the absence of strategic planning, and limited governmental support and supervision.

The study recommends providing both financial and moral support to Qur'anic schools in order to enhance their performance and ensure the sustainability of their cultural and educational contributions to Somali society.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون موعظة وهداية للناس، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين محمد بن عبدالله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

يعتبر القرآن الكريم دستور المسلمين، منه يستقون معارفهم الإسلامية وأحكام العبادات والمعاملات بجانب السنة النبوية، وقد اعتنت المجتمعات المسلمة بالقرآن الكريم دراسة وحفظا، فأسست المراكز القرآنية، والمدارس لتحفيظ أبنائها كتاب الله، وتختلف طريقة التدريس والحفظ من بلد إسلامي لآخر.

والمجتمع الصومالي كان له مساهمة مقدرة في الاهتمام بالقرآن الكريم حفظا ودراسة وسلوكا، ومن خلال المدرسة القرآنية أو باللفظة الصومالية (الدكسي) يتلقى الطفل الصومالي دروس الحفظ للقرآن، وتعلم قراءة القرآن، وإتقان معرفة القراءة والكتابة باللغة العربية، وقد كان لهذه المدارس أثر كبير في المحاظة على الثقافة الإسلامية، وغرس قيمها في التلاميذ الصغار، فيكبرون بهذه القيم التي تنير لهم طريق حياتهم.

وفي هذه الدراسة سعى الباحث لبيان الدور الكبير الذي تلعبه المدارس القرآنية في الصومال في نشر الثقافة الإسلامية وقد عنون الدراسة بـ (المدارس القرآنية وجهودها في نشر الثقافة الإسلامية بالمجتمع الصومالي).

أهمية البحث:

1- تسعى هذه الدراسة إلى استجلاء دور المدارس القرآنية في بث ونشر القيم الفاضلة الإسلامية في المجتمع الصومالي، حيث الانتشار الواسع لهذه المدارس في القرى والأرياف والحضر.

2- من خلال هذه الدرسة يتم التعرف على نظام تعليم القرآن الكريم في الصومال، ومعرفة أبرز قيم الثقافة الإسلامية التي تبثها المدارس القرآنية.

مشكلة البحث:

يمكن إجاز مشكلة البحث في الآتي:

أ- ضعف الدراسات الأكاديمية التي تناولت الدور الثقافي للمدارس القرآنية في ترسيخ الثقافة الإسلامية في الصومال وبخاصة في بونت لاند.

ب- عدم مقرر مناسب للمدارس القرآنية لمادة الثقافة الإسلامية

ت- قلة المدرسين الأكفاء لتدريس الثقافة الإسلامية

ث- التحديات التي تواجه المدارس القرآنية التي تدمج بين النظامين.

أسئلة البحث:

ويتفرع من السؤال السابق بعض التساؤلات الفرعية أهمها:

- ما المقصود بالمدارس القرآنية أو الدكسي؟
- ما مكانة المدرسة القرآنية في المجتمع الصومالي ؟
- ما أنواع المدارس القرآنية ؟
- كيف كانت تجربة دار القرآن الكريم في بوصاصو بولاية بونت لاند ؟
- هل ساهمت المدارس القرآنية في نشر الثقافة الإسلامية؟
- ما أهم قيم الثقافة الإسلامية التي سعت المدارس القرآنية غرسها في التلاميذ ؟
- ما التحديات التي تواجه المدارس القرآنية في الصومال؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها:

1. التعريف بالمدارس القرآنية في ولاية بونت لاند الصومالية، من حيث نشأتها وتطورها.
2. بيان مدى اهتمام الصوماليين بالقرآن الكريم وأهله، وإبراز مكانته في حياتهم الدينية والاجتماعية.
3. توضيح دور المدارس القرآنية في المحافظة على الثقافة الإسلامية ونقلها عبر الأجيال.
4. إبراز القيم الإسلامية التي تغرسها المدارس القرآنية في شخصية التلاميذ، وهويتهم الدينية والثقافية.

حدود البحث

الحد الموضوعي: يركز البحث على المدارس القرآنية

الحد المكاني: تقتصر الدراسة في جمهورية الصومال، وتحديدا ولاية بونت لاند

الحد الزماني: الدراسة 2010 إلى 2025م.

مصطلحات البحث

1- المدارس القرآنية: هي مدرسة تعليمية تهدف إلى تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم المرتبطة به، مثل التجويد، التفسير، والقراءات المختلفة .

2- دار القرآن: ويعني بها الباحث: المدارس التي تدمج بين التعليم الديني المتمثل في تحفيظ القرآن الكريم وعلومه وبين التعليم النظامي الحكومي.

3- الجهود: في الدراسة تعني الطاقة، السعي، والمشقة المبذولة لتحقيق هدف معين، وهنا الجهد الذي تبذله المدارس القرآنية في تحقيق هدفها المتمثل في نشر القيم والثقافة الإسلامية.

4- الثقافة الإسلامية: يعني بها الباحث: المعلومات التي يتلقاها الشخص ويتعلمها من دين الإسلام عقائده وعباداته وأخلاقه ومعاملاته وتاريخه بالإضافة إلى ما يكتسبه من عادات أهله وما يقيمون به الأمور ويحكمون به على الأشياء انطلاقا من هذه الثقافة.

الدراسات السابقة:

بذل الباحث جهدًا في البحث عن دراسات علمية حديثة تناولت هذا الموضوع باللغة العربية، غير أنه لم يجد دراسات تناولته من الزاوية التي سعى إلى دراستها. ومع ذلك، فقد توصل إلى عدد من الدراسات ذات الصلة، من أبرزها ما يأتي:

الدراسة الأولى:

جهود أهل الصومال في خدمة القرآن الكريم وعلومه، إعداد: عبدالله محمد علي عادل، رسالة ماجستير في علوم القران، الجامعة الإسلامية، مينسوتا، أمريكا، 2016م.

أهداف الدراسة:

1- التعرف على نظام التعليم الإسلامي في الصومال.

2- إبراز دور مدارس التحفيظ في الصومال في الحفاظ على التلقي الصحيح للقرآن الكريم.

3- التعرف على الروايتين المنتشرتين في الصومال، رواية الدوري عن أبي عمرو، ورواية حفص عن عاصم.

المنهج المتبع: اتبع الباحث المنهج الوصفي والاستقرائي والتاريخي.

أهم نتائج الدراسة:

1- انتشر الإسلام وتعاليمه في أوساط المجتمع الصومالي، فأنشأوا الخلاوي لتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم .

2- ساهم أهل العلم في الصومال في باب التأليف والتحقيق خصوصا في مباحث القرآن الكريم وعلومه.

3- أن رواية الدوري هي الرواية السائدة في القديم، ثم انضمت لها رواية حفص.

أوجه الاختلاف والاتفاق:

هذه الدراسة ركزت على توضيح جهود أهل الصومال في تعليم القرآن الكريم عموما، وتحدثت عن الروايتين المنتشرتين في الصومال، رواية الدوري عن أبي عمرو، ورواية حفص عن عاصم، وعوامل انتشارهما. بينما هذه الدراسة ركزت على إبراز جهود المدارس القرآنية في ولاية بونت لاند في نشر الثقافة الإسلامية.

الدراسة الثانية:

الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي، أطروحة دكتوراه، إعداد: علي الشيخ أبوبكر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، 1403هـ.

أهداف الدراسة:

- عرض لتاريخ الدعوة في القرن الأفريقي
- بيان أحوال المسلمين في الدول المجاورة للصومال : إثيوبيا، وكينيا وتنزانيا

المنتهج المتبع: اتبع الباحث المنهج الوصفي والاستقرائي والتاريخي

أهم نتائج الدراسة:

لم يشر الباحث في خاتمة بحثه شيئا عن المدارس القرآنية، رغم أنه أفرد لها فصلا في أطروحته، ويمكن أن نستخلصه أن مدارس التحفيظ كانت ركيزة من ركائز الدعوة في الصومال.

أوجه الاختلاف:

أن هذه الدراسة اهتمت بتناولت دخول الإسلام في منطقة القرن الأفريقي، في كل من الصومال وكينيا والحبشة وتنزانيا. وتناولت مدارس تحفيظ القرآن في الصومال باعتبارها من ركائز الدعوة فيه، ولم يتوسع في البيان، بينما دراسة الباحث تركز على الجهد الذي بذلته هذه المدارس في نشر الثقافة الإسلامية بمفهومها الأوسع.

وفي الفصل المتعلق بالصومال ركزت الدراسة على إبراز دور مدارس تحفيظ القرآن، ورسالة المسجد في المجتمع، وخلصت الدراسة إلى أن المسجد والمدارس القرآنية ساهمت كثيرا في الحفاظ على الدعوة الإسلامية في الصومال. وتختلف دراسة الباحث عن هذه الدراسة في أنها محددة بدراسة المدارس القرآنية.

الدراسة الثالثة:

خلاوى القرآن في الصومال (الدكسي)، إعداد عمر محمود ورسمة. دراسة بحثية نشرها الباحث على صفحته على الفيسبوك بتاريخ 2020/6/22م، وهي مطبوعة.

أهداف الدراسة:

- التعريف بنشأة الخلاوي الصومالية ودورها في تحفيظ القرآن الكريم .
- بيان المشكلات التي تواجه خلاوي القرآن الكريم في الصومال.
- بيان الحلول التي تساعد في حل مشكلات الخلاوي القرآنية في الصومال.

المنهج المتبع : استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي.

أهم نتائج الدراسة:

- تشهد الخلوة الصومالية حركة دائبة في طريقها إلى التطور خاصة في العقدين الأخيرين.
- قدمت دور القرآن في ولاية بونت لاند تجربة علمية في الدمج بين حفظ القرآن الكريم والتعليم النظامي.

- هناك ضعف في تأهيل معلمي القرآن الكريم في الخلاوي القرآنية.

أ- أوجه الاتفاق والاختلاف

يمكن القول بأن هذه الدراسة اشتملت على وصف شامل للخلاوي القرآنية في الصومال، وعرضت تاريخها من النشأة إلى العصر الحالي، مع تناول المشاكل التي تواجهها، ولم تتطرق إلى الدور الثقافي الإسلامي لهذه الخلاوي ، وهذا ما ركزت عليه دراسة الباحث.

الدراسة الرابعة:

دور الكتاتيب القرآنية في بناء وتشكيل الشخصية الصومالية. إعداد: إبراهيم عبد القادر محمد.منشورات مركز الكتاب للبحوث والدراسات – بوصاصو – الصومال 2020م.

أهداف الدراسة

- بيان نشأة الكتاتيب ومكانتها في المجتمع الصومالي.
- بيان طرق التدريس في الكتاتيب القرآنية.
- إظهار أثر هذه الكتاب في بناء وتكوين شخصية الإنسان الصومالي.

المنهج المتبع: استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي ، والتاريخي، والاستقرائي

أهم نتائج الدراسة:

- تعود نشأة الكتاتيب في الصومال في القرن الأول الهجري.
- تنوع طرق التدريس في الكتاتيب من طرق الحفظ: فردي وجماعي، وطريقة المراجعة في السُّبع والدريرس.
- أكد أن الكتاتيب من عوامل بناء الشخصية الصومالية

ب- أوجه الاتفاق والاختلاف

تختلف هذه الدراسة عن دراسة الباحث في جزئية الشخصية الصومالية، حيث ركزت الدراسة السابقة لبيان أثر الكتاتيب في الشخصية الصومالية، بينما دراسة الباحث تسعى لبيان أثر المدارس القرآنية في نشر الثقافة الإسلامية.

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذه الدراسة عددا من المناهج أهمها: المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي.

الأدوات المستعملة في البحث

اعتمد الباحث في جمع مادته العلمية على مجموعة من المراجع والدراسات التي تناولت موضوع البحث، كما استخدم أسلوب المقابلة الشخصية، فأجرى عدداً من المقابلات مع مديري المدارس القرآنية ومعلميها.

إضافةً إلى ذلك، استعان الباحث بأداة الملاحظة المباشرة، مستفيداً من خبرته الميدانية وإقامته الطويلة في مجتمع ولاية بونت لاند، التي امتدت لنحو ثماني سنوات، مما أتاح له فهماً أعمق لواقع تلك المدارس وظروف عملها.

هيكل الدراسة

قد تضمن هذا البحث عدة مطالب وخاتمة على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم المدرسة القرآنية وتاريخها في الصومال

المطلب الثاني: أنواع المدارس القرآنية وتجربة دار القرآن

المطلب الثالث: دور المدارس القرآنية في نشر الثقافة والإسلامية العربية بالصومال

المطلب الرابع: التحدّيات التي تواجه المدارس القرآنية في الصومال

المطلب الأول: مفهوم المدرسة القرآنية وتاريخها ومكانتها

في البلاد العربية والإسلامية نجد حضورا كبيرا لمؤسسات القرآن الكريم، حيث تهتم المجتمعات الإسلامية بتحفيظ أولادها القرآن الكريم، والتربية الإسلامية منذ نعومة أظفارهم، لذلك تنتشر مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في ربوع العالم الإسلامي، وقد تختلف المسميات لهذه المؤسسات من بلد لآخر، لكن كلها تؤدي وظيفة واحدة أساسية هي الاعتناء بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده.

في الثقافة الصومالية هناك العديد من المسميات المجتمعية تطلق على مدارس تحفيظ القرآن الكريم في الصومال (بملعَمَد أو الكتّاب أو دكسي) والاسم الأوسع في هذه هو الدُّكسي حيث ينتشر في معظم المناطق الصومالية.

ويقابل هذه المدارس في البلاد العربية لفظة الخلاوي المنتشرة في ليبيا والسودان وتشاد، ولفظة الكتاتيب في بلاد أخرى كموريتانيا

تعريف المدرسة القرآنية:

المدرسة لغة: تعني البيت الذي يدرسون فيه وقيل الدارس: البيت الذي يدرسون فيه القرآن والمدارس والمدرس: الموضع الذي يدرسون فيه. (ابن منظور. 1414هـ ج6، ص80)

اصطلاحا: المدرسة هي مؤسسة اجتماعية تربوية تعليمية ثقافية ثابتة بعد الأسرة، لها دور وظيفة محددة ودور متخصص في التنشئة الاجتماعية والثقافية للأفراد، فهي نموذج مصغر للمجتمع الذي أنشأها من أجل تأدية المهام المنوطة بها، وفق فلسفة المجتمع وثقافته، وبالأخص تلبية حاجاته على جميع المستويات.(أبوهلال وآخرون. 2010 ص56)

فهي: مؤسسة تربوية متخصصة أنشأها المجتمع لتربية وتعليم الصغار نيابة عن الكبار، وظيفتها تبسيط التراث الثقافي، وتوفير بيئة اجتماعية أكثر اتزانا من البيئة الخارجية، ممّا يؤثر في تنشئة التلميذ، وتكوين شخصية تكوينا يمكنه من التفاعل والتكيف مع المجتمع ومن العمل إلى تطويره. (عبد الهادي. 2002، ص56)

والمدرسة المقصودة في هذه الدراسة هي عبارة عن مؤسسة تعليمية دينية، وتنشئة اجتماعية تختص بتربية النشء على التعاليم الدينية، وتحفيظهم القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتفسيرا، وذلك باتباع مناهج معينة تتكيف، وتتناسب مع قدرات كل فئة، واستخدام وسائل تكنولوجية حديثة في التعليم.

والقرآنية : نسبة للقرآن وهو: (كلام الله تعالى المنزل على محمد المتعبد بتلاوته). (القطان، د.ت. ص16)

فالمدرسة القرآنية: هي مؤسسة دينية تعليمية تابعة لوزارة الشؤون الدينية يلتحق بها أفراد من مختلف الأعمار، أي من الأطفال الصغار إلى الراشدين، وتتباين فيها مستويات التعلّم، وتدريس باقي العلوم الشرعية. (تازروتي. 2003، ص39)

وبعبارة أخرى أن المدرسة القرآنية: تلك المؤسسة التربوية الدينية وهي عبارة عن حجرة أو مكان تعليمي داخل المسجد، أو ربّما خارجه، يجتمع فيها تلاميذ لحفظ القرآن الكريم

وتلقين مبادئ الدين، يتولى تدريسهم معلمون متخرّجون من مدارس التعليم القرآني، وفق طريقة منهجية معينة، ولا يقتصر التعليم فيها على حفظ القرآن الكريم فقط، بل تعدَّى ذلك إلى تعليم مبادئ القراءة والكتابة والخط، وغرس بعض القيم التربوية كالصدق والإحسان إضافة إلى مساعدة المتعلم، وتهيئته للمراحل الدراسية اللاحقة، كالعمليات الحسابية والحفظ للسور والأناشيد وغيرها. (شريفي. 2018. ص12)

مترادفات المدرسة القرآنية

1ـ الدكسي

وكلمة دكسي كلمة صومالية يدلّ مدلولها اللغوي على المكان الدّافئ الذي يقي البرد والحر، وبما أن الدّكسي يقي الناشئة من الجهل والأمية، فقد أطلق الدكسي على المكان المعدّ لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه، وما يتطلّبه من تعلّم للقراءة والكتابة. (معلم علي. 2011، ص229)

ولعل تسمية الخلوة القرآنية بـ(الدكسي) مأخوذة من المعنى الحسي للكلمة إذ جرت العادة على بناء الخلوة القرنية في مكان دافئ، ويكون غالبا تحت شجرة وارفة الظلال يتولى الأهالي بناء عريش تحتها ليتحصن فيها المدرس وتلاميذه والضيوف النازلون عليهم من الرياح التي تضرب الرحل في ظل المناخ الصحراوي في الصومال. وكثيرا ما يطلب المعلم من بعض الطلبة المبيت في (الدكسي) خصوصاً في أوقات المراجعة المكثفة لطبقة الحُفاظ وكذلك تلجأ إليه قوافل طلاب العلم المسافرين للمبيت في الدّكسي القرآني في ضيافة المعلم وتلاميذه، ومن هنا كان لا بد أن يكون المكان الذي يحتضن الدكسي القرآني مكانا دافئا صالحا للمبيت.(ورسمه. 2020، ص2)

2ـ مَلعَامَد :

وجد أيضا أن بعض الصوماليين يستعملون كلمة (مَلعَامَد) مكان كلمة الدكسي ولكنهم قليلون نسبيا ويظهر أن كلمة (مَلعَامَد) كلمة دخيلة وليست من اللغة الصومالية الأصيلة. (عبدالكريم وآخرون. 1978 ص13). لكن هذا الرأي عارضه الباحث إبراهيم عبدالقادر الذي يذكر أنه بحث في بعض القواميس الصومالية فوجد

كلمة (Malcamad) والتي تعني المدرسة القرآنية ويشير أنه لم يعثر على دليل يثبت أنها دخيلة أو أصيلة. (محمد. 2020. ص5)

تاريخ المدرسة القرآنية "الدكسي"

قد حاولت تتبع النشأة التاريخية لظهور الدكسي في المجتمع الصومالي، إلا أن معظم الباحثين الصوماليين يشيرون إلى صعوبة معرفة الحقيقية لبدايات ظهور الدكسي حيث يشير الباحث محمد حسين في دراسته بأنه : لا يعرف حتّى الآن تاريخا محدّدا لنشأة الدكسي في الصومال إلا أنّه من المؤكد أنه المكان الأوّل الذي يتلقى الصوماليون فيه تعليمهم، وتشير بعض الروايات إلى أن نظام التعليم في الدكسي قام على أكتاف المهاجرين المسلمين عبر الهجرات الإسلامية والعربية، والذين وصلوا إلى الصومال في فترة مبكّرة واستمرّ يؤدّي دوره حتى صار مَعلَماً من أهمّ معالم التعليم الإسلامي في البلاد. (معلم علي. 2011، ص229)

والذي يظهر أن الدكسي بدأ وجوده في الصومال مع ظهور الإسلام فيها، كما يؤكّد المعلمّ نور راغي – أحد مدرّسي القرآن بمقديشو- في حديثه للجزيرة نت حيث قال: (أن دكسي (الكتاتيب القرآنية) يعتبر مؤسسة تربوية تقليدية، ظلت عبر أزمنة طويلة من تاريخ الصومال الرافد الوحيد للمعرفة والأخلاق الإسلامية). (الجزيرة نت (2007)

وحسب تقديرات بعض الباحثين تشير إلى أن (تعود نشأة خلاوي القرآن –الدكسي- في الصومال إلى أكثر من ثلاثة عشر قرنا تقريباً، إذ يفترض أن نشأتها ملازمة لاعتناق سكان القرن الأفريقي – ومنهم الصوماليون- للإسلام منذ منتصف أواخر القرن الأول الهجري على أبعد الاحتمالات. ومن المعلوم أن تعلّم القرآن كانت عملية لصيقة بالرسالة الخاتمة، التي حمّلها الله عز وجل معجزة كلامية علمية متعبد بتلاوتها وحفظها والعمل بها وتنزيلها على أرض الواقع). .(ورسمه. 2020، ص1)

ومع مرور الوقت تطورت أساليب الدكسي في تعليم أساسيات اللغة العربية على يد الشيخ (يوسف الكونين) الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي. (محمد. 20202. ص6)، وإذا ثبتت هذه المعلومة التاريخية فإن هذا يشير إلى عراقة مؤسسة الدكسي أو المدرسة القرآنية الصومالية وعمقها في التاريخ الصومالي.

ومنذ ذلك الزمان وإلى يومنا هذا كانت الكتاتيب تنتشر، وتزداد في بقاع أنحاء الصومال، وهي أول مدرسة عرفها الشعب الصومالي في تعليم أبنائه وبناته، ولم تكن هناك مدرسة غيرها إلا عندما دخل الاستعمار في الصومال. (عادل، 2016 ص25)

وإذا دققنا النظر في فترة الاحتلال الإيطالي، نجد أن المُحتلِّين سعوا إلى الحد من تأثير المدارس القرآنية في الصومال من خلال فتح المدارس التبشيرية المسيحية، ومدارس أخرى للتعليم الابتدائي، بعد فشل المدارس التبشيرية، ولكن (لم يلق التعليم العالماني على النمط الغربي استقبالا جيدا من قبل الصوماليين). (محمد. 20202. ص7)

ويشير الباحث د.حسن مكي أنه قد حدثت ثورة في عدد المدارس القرآنية عشية الاستقلال، على حساب المدارس الاستعمارية فقد (بلغ الاختلال في التوازن حدًّا جعل عدد المدارس القرآنية خمسة أضعاف عدد المدارس الابتدائية العامة... يمكن تفسير هذه الاختلافات في مواقع المدارس القآنية والمدارس الابتدائية العامة من خلال تصورات التعليم: المدارس القرآنية مدمجة في الثقافة الصومالية بينما المدارس الاستعمارية لا تحظى بتقدير كبير). (محمد. 20202. ص7)

وتشير الاحصائيات القديمة أن عدد المدارس القرآنية في عام 1953م كان كالآتي: (39 مدرسة قرآنية للذكور، تضم 51 معلما، وتستوعب 1339 طالبا، و 6 مدارس قرآنية للإناث، تستوعب 142 طالبة).(أحمد. 1990. ص156)

وقد تضاعف هذا العدد بشكل كبير في عهد الحكومة المدنية، فقد كانت المدارس القرآنية في الصومال هي أكثر المدارس انتشارا في بوادي الصومال، والمدن على حد سواء وقد بلغ ما أحصي منها في المدن بالإقليم الشمالي نحو (189) مدرسة (دوكسي) وعدد طلابها (3223) طالب، وفي الإقليم الجنوبي بلغ عدد المدارس محو (928) مدرسة (دكسي)، وعدد طلابها نحو (44.885) . (سالم. 1965. ج2 ص462)

وفي عام (1964) كان 40 ألف من الطلاب مسجلين في (1928) مدرسة قرآنية في الجنوب بينما بلغ عدد الطلاب في الشمال (3200) طالب في (189) مدرسة قرآنية. (محمد. 2020. ص8)

وفي عهد الحكومة العسكرية (أظهرت دراسة مسحية قامت بها وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع المكتب الإقليمي للمنظمة العربية للتربية والتعليم عام (1983) أن عدد المدارس القرآنية في الجمهورية يبلغ حوالي (5480) مدرسة بنما قدر عدد الطلال فيخا بنحو (356200) تلميذ وتلميذة أعمارهم متفاوتة تبدأ من ست سنوات. (محمد. 1988. ص22)

ويشير الباحث عبدالفتاح أشكر نور في دراسته: أن وبحسب إحصائيات صادرة عن هيئة اليونسيف عام 2003، فإن عدد الخلاوي القرآنية المنتشرة في الصومال كان 13000 خلوة قرآنية.

وأضاف أن في عام 2002م ظهرت فكرة دور القرآن الكريم، وتهدف الفكرة إلى تعليم الأطفال القرآن الكريم مع توفير المنهج الدراسي في المرحلة الأساسية، ويبلغ عدد المنتسبين إلى دور القرآن حسب الإحصائيات الرسمية 11200 يدرسون في 140 مدرسة منتشرة في أنحاء البلاد(أشكر، 2012) وقد حاول الباحث العثور على أحدث إحصائيات لكن لم يتمكن من الوصول إليها.

مكانة المدرسة القرآنية لدى المجتمع الصومالي

من عادات الأسر الصومالية إلحاق أبنائهم بمدارس تحفيظ القرآن في وقت مبكر من أعمارهم، حرصا على تعلمهم مهارات الكتابة والقراءة، قبل تسجيلهم في المدارس النظامية حيث كانت مدارس تحفيظ القرآن في السابق منفصلة عن المدارس النظامية، التي تدرس العلوم المختلفة.(عبدالله. 2017)

ويشير الباحث إبراهيم عبدالقادر إلى أن المدارس القرآنية عموما تحظى بمكانة عالية لما تحمله من قيمة دينية وثقافة اجتماعية، مرتبطة بالقيم الإسلامية، بالإضافة إلى كونها المصدر الوحيد للتعليم عبر قرون عديدة، إلى جانب حلقات العلم الشرعي، وبهذا الاعتبار حرصت العشائر الصومالية على العناية بالدكسي –المدرسة القرآنية- في حلهم وترحالهم وكانت نتيجة ذلك الاهتمام. (محمد. 20202. ص8) (لا توجد بقعة أو موقع في بلاد الصومال إلا وقد انتشر فيها الدكسي، حتى أطراف القرى والأرياف

والمدن، وعند ضفاف الأنهار وقمم الجبال وبطونها، ولم يكن الصوماليون يتخلون تحت أي ظرف عن هذا النوع من التعليم).((معلم علي. 2011، ص229))

وإذا نظرنا إلى مكانة مُعلّم المدرسة القرآنية، فإننا نجده يتمتع بقدر كبير من التقدير والاحترام من المجتمع، الذي يعيش فيه عامة، ويلقى عناية خاصة من الأسر التي ينتمي إليها الأطفال المتعلمون في هذا المدرسة القرآنية –الدكسي- ، ونرقب الاهتمام بالمعلم حيث في العادة يتلقى إعانات مالية سخية، غير الأجر المتفق عليه من تلك الأسر على حسب الحالة المالية لكل أسرة.

وهناك اعتقاد سائد في المجتمع الصومالي وهو: أن رضاء المعلم عن التلميذ والدعاء له، يؤثر في التلميذ ويلعب دورا كبيرا في نجابته وتعليمه، بل وفي مستقبله كله. وهناك قول مأثور وشائع لدى جميع أهل الصومال وهو قولهم: ما فاز من فاز إلا بالدعاء وما خاب من خاب إلا بترك الدعاء. ولهذا فمن الطبيعي أن تتسابق الأسر التي يتعلم أطفالها في هذا الدكسي في الكسب والحصول على رضاء المعلم لولدها والدعاء بالخير والنجاح بأي ثمن. (عبدالكريم وآخرون. 1978 ص13)

المطلب الثاني: أنواع المدارس القرآنية وتجربة دار القرآن

أنواع المدارس القرآنية:

يمكن تصنيف المدارس القرآنية في الصومال – من حيث علاقتها بالتعليم الحديث – إلى ثلاثة أنواع رئيسة: (معلم نور راغي. تواصل شخصي 10 يونيو- حزيران 2019م)

1- **المدرسة القرآنية التقليدية:**

يعد هذا النوع الأكثر انتشاراً في بلاد الصومال، حيث تتسم بالبساطة من حيث البناء والتنظيم، وغالبا ما تقام على جوانب الطرق والشوارع، ولا يشترط لقيامها امتلاك أرضٍ خاصة أو وجود هيكل إداري متكامل. فالمعلّم الواحد، وهو في العادة حافظٌ للقرآن الكريم، يقوم بالتدريس في مكانٍ بسيط يجتمع فيه الطلاب لتحفيظ كتاب اللّه.

2ـ **المدرسة القرآنية شبه النظامية:**

تُعد هذه المرحلة حلقةً وسطى بين المدرسة التقليدية والمدرسة النظامية، وتمثل تطوراً في منهج التعليم القرآني. ويُدير هذا النوع من المدارس عادةً معلمون تلقّوا قدراً من التعليم النظامي، لا يقل عن المرحلة الثانوية أو ما يعادلها.

ويُطلق الصوماليون مصطلح (نظامي) على التعليم الأكاديمي الحديث، لذا فإن وصف هذه المدارس بـ(شبه النظامية) يدل على سعيها إلى تطوير المنهج القرآني ليقترب من نمط التعليم النظامي الحكومي.

وقد كانت هذه المدارس – خلال فترة الحرب الأهلية – الوحيدة التي استطاعت الاستمرار في أداء رسالتها التعليمية. وغالباً ما تمتلك هذه المدارس أرضاً رسمية أو مبانيَ مؤجرة، وقد يتكفّل بعض المحسنين بأجرتها. ويُذكر أن وجود المدارس الوقفية منها أصبح نادراً في السنوات الأخيرة. (محمد. 2020. ص8).

3ـ **المدرسة القرآنية النظامية:**

تعتبر من أحدث أنواع المدارس القرآنية، وتشير بعض المصادر إلى أن بدايات نشأتها كان في عام 2002م. (أيوب، 2015) ، وهي تمثل محاولة للجمع بين وظيفة الدوكسي أي المدرسة القرآنية التقليدية، أو شبه النظامية، والنظام التعليمي الحكومي الحديث، بمراحله الابتدائية والإعدادية والثانوية.

ويقوم نظام هذه المدرسة اليومي على فترتين:

الفترة الأولى : مخصصة لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده.

الفترة الثانية: مخصّصة للتعليم وتدريس المناهج الأكاديمية النظامية.

وتختلف المدارس في مدى شمولها للمراحل الدراسية، فبعضها يقتصر على المرحلتين الابتدائية والإعدادية، وبعضها يضم المرحلة الثانوية أيضاً.

4ـ **تجربة مدرسة دار القرآن ببوصاصو**

تعتبر مدرسة دار القرآن الكريم نموذجا متميزا للمدارس القرآنية النظامية في الصومال، وبخاصة في ولاية بونت لاند، إذ تمثل تجربة تعليمية رائدة، جمعت بين الأصالة والمعاصرة، ووازنت بين حفظ القرآن الكريم وتلقي العلوم المدرسية النظامية، ومن ثم أثرت في غيرها من المؤسسات المشابهة، فاقتدت بها في الطرائق، وأصبح الفرق ينحصر

في أسماء المدارس والمالكين. مثل: مدرسة دار البر، ومدرسة ابن باز، ومدرسة دار إقرأ، ومدرسة دار التقوى ومدرسة دار الفرقان.)((نصر الدين أحمد. تواصل شخصي 24 أبريل 2021م)

وقد تواصل الباحث مع أحد مؤسسي المدرسة، الشيخ **موليد متان**، الذي زوّده بنشرة تعريفية وأجرى معه مقابلة. (محمد معلم، موليد متان. تواصل شخصي 2021/4/24)، خلصت إلى المعلومات التالية:

تاريخ التأسيس:

تأسست دار القرآن الكريم في2002/09/01م، بمدينة بوصاصو، وكانت بدايتها مُتواضِعة، ذ لم يتجاوز عدد فصولها الدراسية أربعة فصول، وطلابها كانوا قلة. ومع مرور الوقت شهدت المدرسة توسعاً كبيراً في المباني والفروع وأعداد الطلاب.

المقر والفروع: يقع المقر الرئيس في مدينة بوصاصو، العاصمة التجارية لولاية بونت لاند، ولها فروع في جروي(Garawe)، (عاصمة الولاية)، وكذلك في العاصمة الصومالية مقديشو، وعدد من المدن والقرى الأخرى.

لغة الدراسة: تعمد المدرسة ثلاث لغات رئيسة في التعليم: اللغة العربية، الانجليزية، والصومالية.

أهدافها: تهدف المدرسة إلى:

1 – تعليم الطلاب القرآن الكريم تلاوة وتجويدا وتحفيظهم له عن ظهر القلب.

2 – غرس محبة القرآن في نفوس الطلاب وتعظيمه وترتبيتهم على تعاليمه وآدابه

3 – استثمار أوقات الطلاب فيما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة.

4 – تدريس المواد الأساسية للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة.

5 – تمكين الطلاب من القراءة والكتابة بالعربية بطريقة مبسطة ومناسبة لأعمارهم.

6 – تربية الناشئ تربية إسلامية متكاملة وصحيحة، تهدف إلى رعاية نموّه خلقيا واجتماعيا فكريا وجسميا

7 – بناء الشخصية المتكاملة للطالب الصومالي وتعزيز انتمائه الديني والوطني

مميزاتها: تميزت المدرسة بالآتي:

1 – أنها تجمع بين نظامي الدكسي لتحفيظ القرءان الكريم والمدارس النظامية

2 – محدودية عدد تلاميذ الفصل بحيث لا يزيد العدد ما بين 25 – 30 طالبا أو طالبة.

3 – تحديد مدة حفظ القرآن الكريم إلى مدة أقصاها أربع سنوات.

4 – الفصل بين الجنسين (البنين والبنات).

5 – أنها مدرسة أهلية يستفيد منها جميع طبقات المجتمع.

6 – كونها مؤسسة مدرسية دعوية وليست ربحية. (محمد معلم، موليد متان. تواصل شخصي 2021/4/24)

ويضيف الباحث الباحث نصر الدين أحمد أن المدرسة تمتاز أيضا بطول ساعات الدراسة اليومية، إذ يبدأ الطلاب دراستهم بعد صلاة الفجر بساعة، ويستمرون حتى أذان الظهر مخصصين هذا الوقت لحفظ القرآن الكريم فقط.

ثم يذهب الطالب إلى البيت لتناول الغداء، ثم يعودون بعد صلاة الظهر في الواحدة والنصف ليستكملوا دراسة المواد الأكاديمية، حتى الساعة الخامسة والنصف مساء، والمتمثلة في عدة مواد من تربية إسلامية ولغة عربية وإنجليزية وعلوم ورياضيات وجغرافيا وتاريخ ونحو ذلك.

ويضيف أيضا: بأنها تتسم – المدرسة - بالانضباط والجدية في الأداء، حيث تتابع الإدارة سير العمل والطلاب بدقة، ويؤدي المدرسون عملهم وفق نظام ساعات محدد وبراتب شهري.(نصر الدين أحمد. 24 أبريل. 2021)

سلبياتها: تواجه هذه المدارس – شأنها شأن كثير من المدارس المماثلة – بعض الإشكالات، من أبرزها:

1– استخدام العنف المفرط في بعض الأحيان تجاه الطلاب.

2– ضعف الرواتب وقلة الحوافز مما يؤدي إلى عزوف المدرسين الأكفاء

3– غياب الدعم الحكومي وضعف التقدير الرسمي لجهودها.

ومع ذلك يرى الباحث نصرالدين أحمد أن هذه المدارس أحدثت نقلة نوعية في مجال تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه بأسلوب عصري، حتى أصبحت بوصاصو ومناطق بونت لاند عامة نموذجاً يُحتذى في هذا المجال على مستوى الصومال.

وقد حظيت المدرسة بإقبال واسع من الأسر، حتى لا يكاد يخلو بيت في بوصاصو من طالبٍ يدرس في إحدى دور القرآن الكريم (نصر الدين أحمد. 24 أبريل. 2021).

ويلاحظ أن تأثير مدارس دار القرآن انعكس سلبا على المدارس الحكومية في المراحل الابتدائية والإعدادية، فهذا النجاح أدى إلى تناقص أعداد الطلاب في المدارس الحكومية العامة، التي أصبحت تتركز في المرحلة الثانوية فقط، إذ يلتحق طلابها بعد إكمالهم المراحل الأساسية والمتوسطة في مدارس دار القرآن الكريم، ولعلّ هذا مؤشر كبير على تفوّق هذه المدارس التي عرفت بدور القرآن الكريم والتعليم الأساسي.

كما لفت إلى أن بعض المدارس الثانوية العامة بدأت مؤخراً بإنشاء فروع تابعة لها تحت مسمى (دور القرآن)، بهدف استقطاب الطلاب مبكراً، لا رغبةً في تطوير التعليم القرآني، بل سعياً لجذب أولياء الأمور، مما أوجد نوعاً من المنافسة غير المعلنة بين تلك المدارس ودور القرآن الكريم. (نصر الدين أحمد. 24 أبريل. 2021).

المطلب الثالث: دور المدرسة القرآنية في نشر الثقافة الإسلامية العربية بالصومال

يؤدي الدكسي دورًا محوريًّا في نشر الثقافة العربية والإسلامية داخل المجتمع الصومالي، إذ يُعَدّ المؤسسة التعليمية الأولى التي يتلقى فيها الطالب مبادئ القراءة والكتابة. ومن المعروف أنّ أول ما يتعلمه الطالب في المدرسة القرآنية هو قراءة الحروف العربية وكتابتها، بدءًا بحروف الهجاء وانتهاءً بقراءة وكتابة القرآن الكريم، إلى جانب ما يُدرَّس فيها من علوم ومعارف أخرى.

هذا الدور البارز الذي تضطلع به المدارس القرآنية في ترسيخ الثقافة العربية والإسلامية يتطلّب اهتمامًا خاصًّا وجهدًا جماعيًّا متكاملًا، من أجل تحقيق الهدف الأسمى وهو غرس الثقافة الإسلامية في نفوس الناشئة، ليكونوا قادرين على مواجهة الدعوات والتيارات الهادفة إلى طمس الهوية الإسلامية الأصيلة المتجذّرة في وجدان أبناء الصومال.

مفهوم الثقافة الإسلامية

لفظة الثقافة وردت في اللغة العربية بمعاني متعددة كالدلالة على الحذق والفطنة والذكاء، وسرعة التعلم، والضبط والظفر بالشيء، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال. آية 57)، صقل النفس والمنطق والفطانة وفي القاموس المحيط: ثقف ثقفاً وثقافة صار حاذقاً خفيفاً فطناً وثقفه تثقيفاً سوّاه وهي تعنى بتثقيف الإنسان تسويته فكراً ووجداناً وتقويمه سلوكاً ومعاملة(الفيروز آبادي. 2005.ج1، ص854)

فالثقافة: (جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها والحذق فيها).(العيادي. 2007. ص31)

والثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها، ومن الركائز الأساسية في بناء الأمم، وفي نهوضها، فلكل أمة ثقافة تستمد منها عناصرها، ومقوماتها وخصائصها، وتصطبغ بصبغتها فتنسب إليها.

وكل مجتمع له ثقافته التي يتسم بها، ولكل ثقافة مميزاتها وخصائصها، ويعرف التاريخُ الإنساني الثقافة اليونانية، والثقافة الرومانية، والثقافة الهلينية، والثقافة الهندية، والثقافة المصرية الفرعونية، والثقافات الأفريقية، وثقافة أمريكا اللاتينية والثقافة الفارسية.

ولما استلم المسلمون زمام القيادة الفكرية والثقافية والعلمية للبشرية في القرن السابع للميلاد، واستمروا في مركزهم المتميز إلى القرن الخامس عشر منه، عرف العالم الثقافة العربية الإسلامية في أوج تألقها، حتى إذا ما تراجع العرب والمسلمون عن مقدمة الركب الثقافي العالمي، ودبّ الضعف في كيانهم وتوقفوا عن الإبداع في ميادين الفكر والعلم والمعرفة الإنسانية، انحسر مدّ ثقافتهم وغلب عليهم الجمود والتقليد، وضعفوا أمام تيارات الثقافة الغربية العاتية التي أثرت بقوة في آدابهم وفنونهم وطرق معيشتهم.

وقد استعملت الثقافة في العصر الحديث للدلالة على الرقّي الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد، والجماعات، والثقافة ليست مجموعة من الأفكار فحسب؛ ولكنها نظرية في السلوك بما يرسم طريق الحياة إجمالاً، وبما يتمثل فيه الطابع العام الذي ينطبع عليه

شعبُ من الشعوب، وهي الوجوه المميزة لمقومات الأمة، التي تميّزُ بها عن غيرها من الجماعات بما تقوم به من العقائد، والقيم واللغة والمبادئ والسلوك، والمقدسات والقوانين والتجارب، وفي الجملة فإن الثقافة هي الكلُّ المركّب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات.(الجندي. 1980، مج1، ص524 – 225)

فالثقافة الإسلامية تعني: (طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات الحياة وفقا لوجهة نظر الإسلام وتصوراته سواء في المجال المادي الذي يسمى بالمدنية، أو في المجال الروحي والفكري الذي يعرف بالحضارة).(هندي وآخرون، 2013، ص17)

أو هي: مجموعة من الأفكار والعادات والتقاليد والصفات والخصائص النفسية والعقلية والفكرية والخلقية والسلوكية، التي تتميز بها الشخصية الإسلامية المكتسبة من معرفة مقومات الأمة الإسلامية، ومقومات الدين الإسلامي المستفادة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، واجتهادات العلماء والمفكرين والمتفاعلة مع واقعنا المعاصر تأثيراً وتأثراً.

وتتسم الثقافة العربية الإسلامية أساساً بسمتين: الأولى سمة الثبات فيما يتعلق بالمصادر القطعية، وما جاءت به من عقائد وتشريعات وقيم ومناهج، والآخرى سمة التغيير فيما يتعلق باجتهادات المسلمين وإبداعاتهم القابلة للصواب والخطأ، وبالتالي الاختلاف، فالجانب القطعيُّ في الثقافة العربية الإسلامية يتسم بما يتسم به الإسلام من خصائص بصفته ديناً ومنهاجاً للحياة، وتتجلى هذه الخصائص في: العالمية والشمولية والوسطية والواقعية والموضوعية والتنوع في الوحدة. بالحضارة) (هندي وآخرون، 2013، ص18-20).

ومصادر الثقافة العربية الإسلامية، هي القرآن الكريم، والسنة النبوية، باعتبارهما المعين الأساس للعلوم الإسلامية، واللغة العربية، والمرجع الذي يهتدي به المسلم في بحثه عن الحقائق، في مجالات المعرفة، والوجود والقيم، وفي ما يتعلق بالفكر والواقع والنظر والسلوك.

والقرآن الكريم يُعدُّ المصدر الأساس للثقافة العربية الإسلامية، بفضل ما ورد فيه من تعاليم دينية وأخلاقية واجتماعية، ولكونه صالحاً لكل زمان ومكان، ومسايراً لمتطلبات كل عصر ومستجداته.

وتشكّل السنة النبوية المصدر الثاني الأساس للثقافة العربية الإسلامية، وكما اعتمد المسلمون في نهضتهم الفكرية والعلمية والحضارية على القرآن، ودعوته اعتمدوا كذلك على سنة نبيهم بعد أن جمعوها، ودوّنوها وفصّلوا أبوابها، واستثمروها في جهودهم العملية ومناهجهم المعيشية، وبذلك تكون الثقافة العربية الإسلامية المنطلقة أساساً من القرآن والسنة، ثقافة إنسانية متفتحة داعية إلى التعايش والحوار والتفاهم.(المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، 1997، ص52- 53)

ومن هذه المقدمة عن الثقافة الإسلامية نؤكد بأن المجتمع الصومالي هو مجتمع مسلم، وثقافته نابعة من الثقافة الإسلامية الأصيلة، ومن ثم فجميع مناحي الحياة في هذا المجتمع تستمد أصالتها من مصادر الثقافة الإسلامية، المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والموروث الفكري لعلماء الإسلام على مدار القرون.

منذ نشأتها، سعت المدرسة القرآنية في الصومال إلى ترسيخ قيم الثقافة الإسلامية في المجتمع، عبر غرسها في نفوس الناشئة والأطفال، الذين سيكبرون يوماً ليحملوا راية قيادة حركة الإسلام ونهضته في المجتمع الصومالي. ومن هنا كان من الضروري أن تعمل المدرسة القرآنية على تمكين هؤلاء الأبناء من قيم الإسلام وثقافته.

وعند دراسة دور المدارس القرآنية وأثرها في المحافظة على الثقافة الإسلامية، نجد أن مساهمتها كانت بارزة وواضحة، بل تعد الأكبر؛ إذ تنشئ الأطفال على حفظ القرآن الكريم، واحترامه وتقديره، والعمل بما يحتويه من قيم أخلاقية وعملية. فهم يتعلمون معاني الآيات القرآنية التي يحفظونها، فيكبرون حاملين قيم البر بالوالدين، واحترام الآخرين، والعفو والتسامح، وغيرها من القيم الإسلامية. وسنركّز فيما يلي على أبرز الجوانب التي قامت بها المدرسة القرآنية أو الدكسي في الحفاظ على الثقافة الإسلامية.

أهم آثار المدرسة القرآنية في نشر الثقافة الإسلامية

يتفق معظم الباحثين في الثقافة الصومالية، أن المدارس القرآنية في الصومال، كان لها عظيم الأثر في حماية الثقافة الإسلامية في المجتمع، وذلك من خلال تركيزها على ترسيخ الآتي:

أولا: الاهتمام بالقرآن الكريم وحفظه

في دراسة علمية أكّد (98٪) من المشاركين في الاستبيان الإلكتروني، أنهم درسوا في المدارس القرآنية فترة من الزمن، وسبقت العديد من الدراسات الميدانية إلى تقرير نتائج مشابهة مؤكدة أن: (الدكسي هو النظام التعليمي الوحيد الذي يصل إلى كافة المدن والقرى والبوادي في الصومال). (محمد. 2020. ص19)

لقد حافظت هذه المدارس القرآنية على اشتعال جذوة القرآن في نفوس أبناء الصومال، فتجد الطفل الصغير ذو السبع سنوات، يرتل لك القرآن كاملاً، ويحفظ كثيرا من سور القرآن الكريم، وقد أبلغني البعض بأن هؤلاء الأولاد، قد يدخل معظمهم المدارس الابتدائية، وقد أكمل حفظ القرآن أو ختمه كاملا قراءة مرتلة.

إن تلك المكانة التي حظيت بها المدرسة القرآنية –الدكسي- في الصومال، أفرزت واقعا إيجابيا، تفوق فيه الصوماليون على غيرهم في حفظ القرآن الكريم، وبرزوا فيه على مستوى العالم في حفظ القرآن الكريم، حتى عُرف الصومال عند المهتمين بهذا الشأن بـ(بلاد القرآن). (محمد. 2020. ص19) وظهر منهم قراء كبار وأئمة للمساجد، كما نالوا شرف البطولة في المسابقات الدولية للقرآن الكريم، وأثاروا إعجاب المسلمين من كافة أنحاء العالم.

وقد أشار شيخ عموم المقارئ المصرية سابقاً: الشيخ أحمد عيسى المعصرواي بقوله: (عاشرت الصوماليين كثيرا في دول كثيرة، سواء في أوروبا وأمريكا، فرأيت منهم الحب الجم لكتاب الله تعالى والحب لهذا الدين حبا كثيرا). (محمد. 20202. ص19)

ونظراً لما تحمله المدرسة القرآنية من قيمة ثقافية إسلامية رفيعة، فقد نقلها الصوماليون معهم إلى بلاد المهجر إثر تمزق الدولة بسبب الحرب الأهلية، فأسست الجاليات الصومالية في مختلف دول الاغتراب مدارس قرآنية لتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم وغرس التعاليم الأساسية للثقافة الإسلامية، وقد نقلت وسائل الإعلام مشاهد

لأبناء الجاليات الصومالية من أطفال وشباب في أمريكا وأوروبا يمثلون هذه الدول في المسابقات العالمية لحفظ القرآن الكريم، وينالون الجوائز تقديراً لمجهوداتهم وإتقانهم.

ثانياً تعظيم شعائر الدين

إن الدين الإسلامي عامل هام من عوامل التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية والقومية، فهو المانع الحصين لشخصية الفرد في المجتمع.

وأن تواجد الطفل الدائم في المدرسة القرآنية يمكّنه هذا من حفظ مجموعة من السور، والآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، التي ترسَخ في ذهنه، ويترجمها في سلوكياته وتصرفاته اليومية، وبالتالي يحافظ على وجودها، ويبلّغها إلى الجيل القادم بعده، فتغرس في نفسه العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتنشئه على القيم الإسلامية الخاصة، وتجعله يشعر بأنها جزء من شخصيته، وقيم مجتمعه.(نجية. 2016. ص44- 45)

ويؤكد أيضا عناية الصوماليين بحفظ القرآن، من خلال هذه المدارس القرآنية قول الشريف عيدروس: (وأهل صوماليا من أشد الناس تمسكا بعقيدتهم، ومن مظاهر استمساكهم بدينهم وحبهم لكتاب ربهم عنايتهم بتحفيظ أولادهم القرآن وتعليمهم قواعد الدين، وتركهم يرتحلون مع معلمين إلى البوادي والقرى البعيدة شهورا عديدة في هذا السبيل).(النضيري. 1965. ص49)

فالمدرسة القرآنية بما تدرسه لهؤلاء التلاميذ تغرس فيهم قيم الدين، وتعظيم شعائره، وقد أورد الشيخ محمد محمود الصواف في كتاب (رحلاتي إلى الديار الإسلامية) عند زيارته إلى الصومال، حاملاً رسالة الملك فيصل بن عبدالعزيز إلى الرئيس الأسبق محمد سياد بري، عن خصائص المجتمع الصومالي قائلاً: (إن هذا الشعب رغم كل المحاولات معتز أعظم الاعتزاز بعنصره الإسلامي، وباللغة التي يفضلها، وهي لغة القرآن وأقرب الأمثلة إلى ذلك: أن (75٪) من الصوماليين يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب، يحفظونه بواسطة المصاحف التي يتوارثها الأجيال، جيلا بعد جيل، وبواسطة الألواح الكبيرة التي يكتبها المعلم لتلميذه، في الكتاتيب المنتشرة في الحواضر وفي البوادي، ومع البدو الرعاة الرحل بشكل خاص، ومثال آخر هذه الأسماء التي يتسمون لها (مكة

المدينة) أسماء يطلقونها على أشخاص لديهم هل تجد بعد هذا ارتباطا أكثر بالقرآن وبما يمت للغة القرآن بصلة؟).(الصواف . 1975. ص361)

ومن تعظيم هذا الشعب للدين اعتزازه بهويته الإسلامية، فهو شعب يعتنق الإسلام 100٪ ويحترم شعائر الإسلام ومظاهره ومقدساته، فهي عامرة في قلوب الصوماليين، ومن ذلك حبهم للقرآن وتقديسهم له حيث أنهم يحلفون بالمصحف، ويعظمون النبي صلى الله عليه وسلم، وينشدون الأشعار التي تمدحه وتمجد خصاله الشريفة، ولعلماء الشريعة مكانة عالية في نفوس الشعب، ويكنون لهم الود والاحترام.

وبما تبث المدرسة القرآنية من قيم إسلامية في نفوس الأبناء أو الأطفال، ساهم ذلك في نشر الثقافة الإسلامية، والوعي بالقيم الدينية، لذلك نجدهم وهم: (من أشد شعوب العالم الإسلامي تدينا وصلاة وإيمانا بالله، وبوطنه، وإخوانه، وكل من يتصل بالصوماليين يعرف ما للدين في حياتهم من أهمية، فهم في أحزانهم ومتاعبهم ينظرون إلى الله، فيمدهم إيمانهم هذا بقوة تشعرهم بالراحة النفسية، والقوة في الحياة، وفي فترات الرخاء والسعادة والأفراح، تمتلئ بالشكر والشعور بأنه موجود في كل زمان ومكان). (سالم. 1965. ج2 ص484)

فاعتداد الفرد الصومالي بالثقافة الإسلامية يعتبر نتيجة للتوجيه المبكر للأطفال في المدارس القرآنية، وتربيتهم على حب الدين، وتعظيمه، ويستمر ذلك التوجيه طوال مرحلة الطفولة أثناء حفظه للقرآن في المدرسة القرآنية، (ومن هنا ندرك أن القرآن الكريم وحفظه بهذه الطريقة، والعناية بالشكل الذي تحدثنا عنه هو الزاد الأساسي للدعوة الإسلامية، والعدة القوية التي يتقوّى بها الدعاة ضد الباطل؛ لأنه هو الأرضية الأولى المهدة لسير الدعوة والدعاة، ومن هذا المنطلق يعتبر تحفيظ القرآن أول صرح من صروح الدعوة، بل هو الباب الذي يدخل الدعاة منه، لينطلقوا بعده إلى مجال الدعوة الواسع، وإلى نشر هذا الدين بين الخلق وتحفيظ القرآن ركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية في الصومال، كما هو في العالم الإسلامي، وعامل من ضمن عدة عوامل، التي ساهمت في مسيرة الدعوة وما زالت تؤدي دورا حيويا في هذا المجال).(أبوبكر، 1403هـ، ص256)

ثالثاً: غرس السلوك القويم

إنّ التربية الدينية المبكّرة تُعدّ وسيلة وقائيّة لسلوك الإنسان، فهي تساعد على تكوين نظام ثابت من القيم والمعايير الأخلاقية، وبقدر ما يستفيد سلوكه وتفكيره من هذا النظام يكون أقدر على تحصين فكره وسلوكه؛ ذلك أن الدين هو المشكِّل الأساس للثقافة والتربية والدافع الرئيس للسلوك والمانح للمعايير التي تمكن من الفحص والاختيار والقبول والرفض.(عيساني. 2010. ص344- 345)

ينبغي على الدعاةِ العمل على تفعيل وترسيخ بعض الصفات، التي يمكن اعتبارها أمّهات الصفات الفعلية والسلوكية.

فإنه يندرج تحت القيم الخُلُقية كل القيم المتعلقة، بتكوين السلوك الخُلقي الفاضِل عند المسلم، ليصبح سجية وطبعا، يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين، لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوئام.

ومن أبرز القيم الخلقية التي يرى الباحث أن تعمل المؤسسات التربوية –الأسرة والمدرسة والإعلام والمسجد- على غرسها هي أخلاق: الصدق والبر والأمانة والأخوة والتعاون والوفاء والصبر والشكر والحياء والعدل والنصح والرحمة.(الطريقي وآخرون. 1417هـ. ص72 - 73)

فإنّ غرس هذه القيم في الأطفال وتربيتهم عليها فإن ذلك سيكون له أثر كبير في سلوكياتهم المستقبلية وأن تمسكهم في كِبرِهم بهذه الصفات سيساهم في حماية المجتمع من الانحرافات الخُلقية والقِيَم ويمكن للباحثين الرجوع إلى كتب الأخلاق الإسلامية.

ويؤكد هذا القول الباحث إبراهيم عبدالقادر بقوله: يبدأ الطفل الصومالي حياته الدراسية في الكُتّاب، ويتلقى أولى التوجيهات التربوية فيه بعد التربية المنزلية، وهناك يتعلم أدبيات الانضباط والتعاون والاحترام، ويتعرف على قيم الإسلام وسماحة أخلاقه، ويتشرّب حب دينه، مما يترك أثرا عميقا في تقويم سلوك الطفل، وتشكيل قاعدة تربوية ينطلق منها في تفاعله مع محيطه الاجتماعي.

ويشير الدكتور عمر ورسمه إلى أن (في الدكسي يتربى الأطفال على السلوك الاجتماعي والأخلاقي من ناحية بناء الخلق الاجتماعي، فإن هناك رسميات متبعة في

الدكسي نعود الطفل على الاحترام حيث يقدر كل من يسبقونه في الحفظ ومن يكبرونه في العمر ويطلق الطفل الصومالي عادة لفظة (العم والعمة) على من يكبرونه سواء أعرفهم أم لم يعرفهم). .(ورسمه. 2020، ص9)

وقد أشار إليّ كثير من الباحثين الصوماليين ممن قابلتهم، أكدوا أن أطفال الدكسي – عادة في أيام الخميس يتلقّون دروسا في التربية الأخلاقية، كبرّ الوالدين واحترام الكبير، والحرص على النظافة العامة، ومساعدة الضعيف وغيرها من القيم السلوكية، التي تحض عليها الثقافة الإسلامية، التي مصدرها القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

رابعاً: احترام المعلم

من القيم الثقافية الإسلامية التي أرست المدرسة القرآنية دعائمها في المجتمع الصومالي، احترام المُعلِّم فإن الأسرة الصومالية تقوم بتربية أطفالها على تقدير المعلم وخدمته، كرعي أغنامه، وتفقد أحواله، وشكل يومي يستفتح الطلاب الدكسي في الفترة المسائية أدعية تسمى بالمصطلح الصومالي (shaafii)، وتضم أدعية كثيرة للمعلم ومعلمه ومعلم معلمه والوالدين والجيران). .(ورسمه. 2020، ص9).

والمعلمون من أكثر الناس احتراما في المجتمع، فلعل أحدهم يُخرِّج مئات من التلاميذ عبر العقود المتلاحقة، فكل هؤلاء يعتقدون أن معلمهم والدهم، وإذا احتاج منهم أي شيء فإنهم يلبون بأسرع ما يمكن، وكثير من هؤلاء يقضون حاجات المعلم بدون أن يطلبها منهم، والحافظ للقرآن محترم بصفة عامة، لدرجة أن بعض الناس يعتقدون أنه مثل المصحف، ويعظمونه إلى حد المغالاة.).(أبوبكر، 1403هـ، ص245). ولا أبالغ إن قلت أني وقفت بنفسي ورأيت كيف يقدر الصوماليون معلميهم، حيث أخبرني كثير من الطلاب بأن الشيخ فلان كان أستاذي في حفظ القرآن، ويبادر إلى السلام عليه إذا لقيه وكذلك يعين أستاذه على قضاء حوائجه.

ويشير الباحث إبراهيم عبدالقادر من خلال استطلاع أجراه بأن: (ظلت هذه العادة التي درج عليها أطفال الكتاتيب القرآنية محافظة على قوتها، حتى عهد قريب قبل تراجعها نسبيا في المدن خاصة، ولكن ما يزال لحفظة القرآن ومعلمي الكتاتيب القرآنية مكانة

خاصة في نفوس الصوماليين تفوق مكانة غيرهم، وما زالت الأناشيد تغني في حب المعلم والدعاء له). (محمد 2020. ص24- 25).

خامسا: الحفاظ على اللغة العربية

تلعب اللغة العربية دورا كبيرا في تماسك أبناء المجتمع الواحد، حيث تربطهم ببعضهم البعض، كما تربطهم بالمجتمعات العربية على مستوى الأمة العربية، حيث تُوحِّد انتماءهم المصيري إلى ثقافة اللغة العربية وحضارتها.

فاللغة العربية لغة الإسلام، وبدخول أبناء المجتمع الصومالي إلى المدرسة القرآنية، يجعلهم يمتلكون ملكة لغوية فصيحة وبليغة، من خلال دراستهم وقراءتهم للقرآن، وقواعد ومبادئ اللغة العربية، وما تحمله من دلالات ومفردات تجعلها واسعة الانتشار في أوساط المجتمع، ودائمة الحضور في تواجد أفراده، وتفاعلهم اليومي مع بعضهم.(تركي. 1981. ص55)

وأول ما يتعلمه الطفل في الكتاب هو الحروف الهجائية العربية (هجاد Higaad) باللغة الصومالية، ولهم طريقة خاصة في ذلك تتماشى مع اللغة الصومالية العامة في البلاد، حيث أن الحركات مثل الرفع والنصب والجر والجزم لها أسماء تعادلها ترجمت منذ مدة.).(أبوبكر، 1403هـ، ص245)

ويتدرج المعلم في تلقينهم الحروف الهجائية، فيبدأ بالحروف المجردة، ثم يثني بالحركات كالرفع والنصب والجر، ثم يثلث بالكلمات المقطعة، ثم بالكلمات الموصولة ثم يعلمهم الجمل وهكذا حتى يتعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية، ثم يبدأ بتعليمهم قصار السور.

ومبتكر هذه الطريقة هو الشيخ يوسف الكونين (الذي اتبع طريقة خاصة لتعليم العربية ابتداء من الأطفال حيث بذل جل جهده في القراءة والتهجي والتشكيل العربي، وهذه الطريقة والأسلوب التلقيني قد أخذ نجاحا باهرا وعمّ كل أرجاء المنطقة، حتى لم يكن طفل يبدأ القراءة والكتابة، إلا من خلال هذه الطريقة، التي هي عبارة عن ترجمة تهجي الحروف المعروفة، عند علماء التربية (الطريقة الهجائية أو الحرفية). (معلم علي. 2011، ص135)

فقد (استطاع الشيخ يوسف الكونين بهذا النظام أن يُفهِم الصوماليين النطق الصحيح للقرآن، وأن تكون هذه الطريقة مدخلا لتعلُّم اللغة العربية بتعليم القرآن، ومن أجل ذلك أقام نظاما تعليميا يدرس به القرآن الكريم، ومبادئ الإسلام والآداب الإسلامية). (أحمد. 1990. ص39)

وكان لتلك الطريقة التي انتشرت في معظم المناطق الصومالية أثر بالغ في تقويم لسان أطفال المدارس القرآنية –الدكسي- ، وتصحيح مخارج الحروف عندهم، وسلامة نطقهم للقرآن الكريم، وللأحرف العربية بشكل عام وأسهم ذلك بشكل مباشر في بقاء اللغة العربية قوية في الصومال، رغم تحديات الظروف المختلفة التي مرت بها البلاد.

ونخلص إلى أن:

- اللغة العربية هي اللغة الوطنية الثانية لأفراد المجتمع الصومالي تلعب دورا كبيرا في تماسكهم الاجتماعي.
- اكتساب الأطفال ملكة لغوية سليمة وفصيحة النطق.
- اكتساب الطفل المعلومات والمهارات بواسطة تدريبه على الكتابة وبعض الأرقام والعمليات الحسابية.(ابن عبدالسلام، 2011، ص41)

فقد حافظت هذه الطريقة على الثقافة الإسلامية في الصومال فيما يتعلق بالمحافظة على اللسان العربي أو اللغة العربية.

سادساً: تعمير المساجد:

لا يجحد أحد أهمية المساجد في غرس الثقافة الإسلامية في قلوب أفراد المجتمع، حيث أنها تربط الناس روحيا بالله، وبأنفسهم، ويتأثرون بأقوال الخطباء والأئمة والدعاة، الذين ينشرون فيهم المواعظ والخطب، التي تذكرهم بواجباتهم الدينية تجاه خالقهم، أو حقوق العباد. ونظرا لهذه الأهمية يقوم الأفراد الصوماليين، أو المؤسسات الخاصة والأهلية بالتمويل، لإنشاء المساجد وإعمارها وصيانتها، لتؤدي تلك الأهداف، وتنجز أغراضها الإيمانية، وتنشر الثقافة الإسلامية. فأنشئت آلاف المساجد في مختلف أراضي الصومال وخارجه.(هاشم. 2022)

ومعظم المدارس القرآنية تكون مرتبطة بالمساجد، فكل مسجد يبنى، يلحق به بعض الحُجرات لتكون فصولاً لتدريس القرآن الكريم وعلومه، ومن ثم فهؤلاء الطلاب يناط بهم دور كبير في تعمير المساجد، من خلال إمامة الناس في الصلاة والآذان، وتقديم الوعظ لهم بين الصلوات وإدارة المساجد ومرافقها بعد تخرجهم.

وبالإضافة للمدارس القرآنية فإن تعمير المساجد، يتمثل في وجود الحلقات العلمية، التي تقوم بنشر الثقافة الشرعية للمواطنين من طلاب العلم وغيرهم، حيث يقوم العلماء الأفاضل بشرح صنوف من الكتب الشرعية في الفقه والحديث والعقيدة والتفسير واللغة، يؤمها عدد كبير من طلاب العلوم الشرعية (**أشكر. 2012**).

سابعا: إعادة قيمة الحجاب لدى الفتيات

الحجاب فريضة ربّانيّة في نصوص الوحي والمقصود بالحجاب هو: اللباس الذي يغطي جسد المرأة كاملاً، وهو اللباس الذي تظهر به المرأة أمام الرجال الذين لا يحرم عليها أن تتزوج منهم على التأبيد. كابن العم وابن الخال ومن لا تربطها بهم قرابة..(عامري. 2018. ص19)

وقد جاءت النصوص القرآنية في تفصيل هذا الأمر وبيان حدوده. رغم أنّ عامة آيات الأحكام في القرآن الكريم نزّاعة إلى ترك التفصيل. وتقديم قواعد شرعيّة عامة؛ وما ذلك إلاّ لأهميّة هذا الأمر وتعلّقه بصميم بناء الشخصيّة الإسلاميّة للمرأة المؤمنة قال تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.(النور. آية 31)

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.)(الأحزاب. آية 59)

وقد ورد في السنة النبوية العديد من الأحاديث التي تشير لموضوع الحجاب يبحث عنها في كتب الفقه أو الكتب التي أفردت الحجاب بتأليف.

ومن المعروف أن الثقافة الإسلامية ترتكز في خطابها للمرأة المسلمة بحثها على لبس الحجاب والذي يعتبر شعيرة دينية إسلامية أوجبها الله تعالى على النساء المسلمات وهو تغطية أجسادهن ورءوسهن بوفق ضوابط معينة .

فهذه الشعيرة الخاصة بالنساء واجهت تحديات كبيرة من قبل المتربصين بالإسلام أو المتأثرين بالثقافة الغربية من أبناء المسلمين حيث جاهروا برفضهم للحجاب وعدم مشروعيته وبسبب أن معظم الحكومات في فترة ما بعد الاستقلال للدول الإسلامية وفي الصومال خصوصاً هي حكومات علمانية أصدرت أوامر بمنع ارتداء المرأة المسلمة بارتداء الحجاب في الأماكن العامة ودور الدراسة والعمل فنشأ جيل لا يدرك أن الحجاب فريضة إسلامية.

وبعد سقوط حكومة الرئيس محمد سيادي بري ذات التوجه الاشتراكي وانهيار الدولة بدأ علماء الدين بنشر التعاليم الإسلامية بحرية تامة قبل أن كانوا غير قادرين على ذلك فأشاعوا في الناس أهمية الحجاب الإسلامي وفرضيته وممن ساهم في بث ذلك المدارس القرآنية الصومالية حيث كان لها دور كبير في ترسيخ ثقافة الحجاب لدى تلميذاتها وطالباتها وغرسته في نفوسهن منذ نعومة أظفارهن فتشب الفتاة وهي متمسكة بحجابها. (dar uur، 2019) ومع مرور الأزمان والتحولات المجتمعية في الصومال وبروز الاتجاهات الإسلامية القوية والمعاهد الشرعية وتغلغل العلماء في المجتمع صار الحجاب في المجتمع الصومالي رمزا تعرف به المرأة الصومالية في أي مكان ارتحلت إليه لتميزه فيها وسعة انتشاره وأجزم من خلال معايشتي في الصومال أكثر من ثماني سنوات لم أر صومالية بدون غطاء الرأس أو الحجاب.

المطلب الرابع: التحدّيات التي تواجه المدارس القرآنية في الصومال

بالنظر للواقع المعقد في المجتمع الصومالي، وغياب تأثير الدولة وسطوتها، وجد الباحث أن المدارس القرآنية تواجه العديد من التحديات الداخلية والخارجية، التي تؤثر

على أدائها ورسالتها، وتحد من فاعليتها، في هذا المطلب يشير الباحث إلى أبرز التحديات التي تواجه المدارس القرآنية وسبل معالجتها، من ذلك:

1- البنية التحتية للمدارس: معظم هذه المدارس لا يتوفر لها أماكن جيدة من قاعات وفصول وملحقات ومعظمها في أمكان عشوائية وفي الطرق العامة.

2- عدم وجود أوقاف: لا تملك هذه المدارس أوقاف من أجل إنفاق ريعها عليها ويعزى ذلك لعدم وجود ثقافة لدي الصوماليين في مسألة الأوقاف على مدارس القرآن وانحصار هذه الثقافة لديهم على المساجد والمقابر.

3- الاهتمام الحكومي:عدم وجود رغبة من الحكومات الفدرالية أو المحلية وخاصة وزراة الاوقاف والشؤون الدينية للعناية والاهتمام بهذه المدارس وتطويرها وتذليل الصعاب أمامها وضبط عملها.

4- العمل النقابي: لا يوجد مظلة أو نقابة عامة تكون مظلة لجميع هذه المدارس القرآنية للتفاكر والتشاور من أجل تطوير هذه المدارس وإصلاح الخلل الذي فيها وتقديم الدعم للمدارس الضعيفة.

5- بيئة المدارس القرآنية: أكثر مباني الخلاوي القرآنية غير ملائمة للتدريس إذا نظرت إلى جانب الضوء، والمساحة، والهواء في الخلوة لا يتناسب مع مجموعة الطلاب الموجودين فيها.(محمود. 2018)

6- عدم اعتناء المجتمع وخاصة أولياء أمور الطلاب بالدكسي: حيث لا يهتم البعض بتنظيم هندام أطفالهم عند ذهابهم إلى الدكسي أو المدرسة القرآنية، كما يتم تنظيمهم عند ذهابهم إلى المدرسة النظامية، متذرّعين بأن الدكسي يقع في موقع غير نظيف أو أن الأدوات التعليمية المستخدمة في الدكسي مثل المداد المصنوع من الفحم يضرّ بنظافة الأطفال وهو ما يحمّلهم على أن لا يهتموا بتنظيم هندام أطفالهم عند الذهاب إلى الدكسي.(عثمان. 2018)

7- غياب اللغة العربية: قليل من المدارس القرآنية من يهتم بتدريس اللغة العربية بتعمق، وإنما الاكتفاء فقط بتدريس الطلاب الحروف العربية وكيفية نطقها وقراءتها وكتابتها، أما جانب الكلام أو المحادثة بالعربية فهو مفقود في معظم هذه المدارس. (عثمان. 2018)

ولعل أهم الحلول التي يمكن للباحث أن يسردها من أجل تطوير المدارس القرآنية في الصومال نلخصها في الآتي:

1- تكثيف الجهد الحكومي: وذلك من خلال تبني هذه المدارس ودعمها بكل ما تحتاجه من دعم مادي أو معنوي، وأن يكون الإشراف من قبلها مباشرا، وفق خطط تسهم في تطويرها.

2- إنشاء مظلة عامة تضم هذه المدارس وصياغة موجهات عامة وتفصلية على ضوئها تسير هذه المدارس في تنفيذ برامجها، على أن تراجع هذه الموجهات وفق خطط إستراتيجية قصيرة وطويلة الأمد.

3- الاهتمام باللغة العربية في داخل هذه المدارس لكي تخرج طالبا ماهرا بالقرآن عارفا بلغته ملتزما بتعاليمه.

4- التواصل مع المؤسسات القرآنية الموازية في العالم الإسلام؛ لتبادل الخبرات والمعارف بغية تجويد العمل وإتقانه.

5- إيجاد أوقاف قرآنية: وذلك بحثّ المحسنين وأهل الخير إلى إيقاف بعض أموالهم لأجل هذه المدارس وإغنائها من مال الأوقاف لكي تؤدي عملها وتعلي من شأن رسالتها السامية.

6- العناية بالمناهج الدراسية: لأن جودة المنهج سوف يكون له أثر في مخرجات المدرسة، والتي تهدف إلى غرس قيم الثقافة الإسلامية في تلاميذها، الذين سيكونون قادة المجتمع بعد سنوات.

ويمكن أن نخلص إلى أن المدارس القرآنية في الصومال، ورغم التحديات الكبيرة، إلا أنها استطاعت أن تحافظ على القيم الإسلامية ونشرها في داخل المجتمع الصومالي، وصبغ سلوكيات الأفراد بالثقافة الإسلامية في تعاملاتهم اليومية الفردية والجماعية.

الخاتمة

وفي خاتمة هذه الدراسة، يمكن أن نلخص إلى عدد من النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، والتي تتمثل في الآتي:

أولا: النتائج

1- أن المدارس القرآنية والمشهورة بلفظة (الدوكسي) هي مدارس راسخة في تاريخ الصومال رافقت المجتمع في ترحاله وتنقلاته واستقراره.

2- أن المدارس القرآنية ساهمت بقدر كبير في المحافظة على الثقافة الإسلامية في المجتمع الصومالي.

3- غرست في نفوس الناشئة القيم الإسلامية والتربية المستمدة من تراثنا الإسلامي.

4- كان لها دور في حماية للأطفال من تأثيرات الغزو الثقافي المتسلل من وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي.

5- ساهمت في نشر اللغة العربية، ولو بشكل محدود لدى الأطفال، وكذلك حافظت على الحجاب الإسلامي للفتيات.

6- تعاني هذه المدارس في هذا العصر بسبب الغزو الثقافي الغربي وهجمته على المؤسسات التي تعنى بالمحافظة على قيم الإسلام وثقافته، حيث يضغط على هذه المدارس من عدة نواحي كتغيير مناهجها لتتلائم مع أسس التعليم الغربي، التي مرجعيتها تختلف عن مرجعية المدارس القرآنية.

ثانيا: التوصيات

1- إعداد دراسات علمية متخصصة تقف على جوانب القوة والضعف في هذه المدارس، ومعالجة نقاط الضعف وتعزيز جوانب القوة .

2- تحفيز القائمين على هذه المدارس، ومساعدتهم على تلبية احتياجاتهم ليتفرغوا في أداء رسالتهم في هذه المدارس.

3- التأكيد على ضرورة فاعلية وجود مؤسسات الدولة المعنية؛ للإشراف على هذه المدارس ومساعدتها في تحقيق أهدافها في المزاوجة بين تحفيظ القرآن الكريم ومناهج التعليم في المدارس الحكومية، وتعزيز الثقافة الإسلامية في المجتمع.

قائمة المراجع

1. أبوبكر، علي الشيخ أحمد. (1403هـ). *الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي* (رسالة دكتوراه). الجامعة الإسلامية.
2. أبو هلال، أحمد، وآخرون. (2010). *المرجع في المبادئ العربية* .دار الشروق للنشر والتوزيع.
3. أحمد، حسن مكي محمد. (1990). *السياسات الثقافية في الصومال الكبير (1887–1986)* (ط1). المركز الإسلامي الأفريقي.
4. أشكر، عبد الفتاح نور. (2012، 21 يونيو). الحلقات العلمية خدمت الإسلام بالصومال. الجزيرة. https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2012/6/21
5. أيوب، محمد شعبان. (2015، 1 ديسمبر). تعلم القرآن في أفريقيا. مصر العربية.
6. ابن منظور، محمد. (د.ت). *لسان العرب* (ط3، ج6). دار صادر.
7. تازروتي، حفيظة. (2003). *اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري* .دار القصبة للنشر.
8. تركي، رابح. (1981). *التنظيم القومي والشخصية الجزائرية* .الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
9. الجندي، أنور. (1980). *معلمة الإسلام* (مج1). المكتب الإسلامي.
10. هاشم، هاشم حسن. (2022، 16 فبراير). *لمحات عن التربية الإسلامية في الصومال*. الأفريقي للمعرفة https://alifriqi.com

11. سالم، حمدي السيد. (1965). *الصومال قديماً وحديثاً* (ج2). الدار القومية للطباعة والنشر.

12. شريفي، فاطمة. (2018). *المدرسة القرآنية ودورها في تعليم القراءة*.

13. الصواف، محمد محمود. (1975). *رحلاتي إلى الديار الإسلامية* (ط1). دار القرآن الكريم.

14. الطريقي، عبد الله إبراهيم وآخرون. (1417هـ). *الثقافة الإسلامية تخصُّصًا ومادة وقسما علميا*. (ط1). الرياض السعودية

15. ابن عبدالسلام، عطية. (2011). *دور المدرسة القرآنية في إعداد الطفل لدخول مرحلة التعليم الابتدائي*، بحث شهادة الليسانس، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر.

16. عبدالهادي، نبيل. (2002). *علم الاجتماع التربوي* .دار اليازوري للنشر والتوزيع.

17. عبدالله، حسن عبدالرزاق. (2017، 6 نوفمبر). الواقع التعليمي في المدارس القرآنية في الصومال (الواقع–المأمول). http://mogadishucenter.com/2017/11/

18. عبدالكريم، محمد علي، وآخرون. (1978). *تاريخ التعليم في الصومال* . وزارة التربية والتعليم.

19. عادل، عبد الله محمد علي. (2016). *جهود أهل الصومال في خدمة القرآن الكريم وعلومه* (رسالة ماجستير غير منشورة).

20. عامري، سامي. (2018). *الحجاب شريعة الله في الإسلام واليهودية والنصرانية* .مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

21. عثمان، عبدالوهاب محمد. (2018، 8 أغسطس). الصوماليون والقرآن. قراءات قرآنية. https://www.qiraatsomali.com

22. عيساني، رحيمة. (2010). *العولمة الإعلامية* (ط1). عالم الكتب الحديث.

23. العيادي، أحمد صبحي. (2007) *المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية* .دار الكتاب الجامعي.

24. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2005). *القاموس المحيط* .مؤسسة الرسالة.

25. القطان، مناع خليل. (د.ت). *مباحث في علوم القرآن* (ط7). مكتبة وهبة.

26. محمد، إبراهيم عبدالقادر. (2020). *دور الكتاتيب القرآنية في بناء وتشكيل الشخصية الصومالية* .مركز الكتاب للبحوث والدراسات.

27. محمد، السيد مبارك أحمد. (1988، 1 مارس). التعليم الإسلامي في الصومال. ورقة بحثية مقدمة في ندوة التعليم الإسلامي في أفريقيا.

28. محمود، يوسف حسن. (2018، 4 يوليو). ضياع خلاوي القرآن الكريم في الصومال. الصومال الجديد.

29. معلم علي، محمد حسين. (2011). *الثقافة العربية وروادها في الصومال: دراسة تاريخية حضارية* (ط1). دار الفكر العربي.

30. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. (1997). *الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي*.

31. نجية، بلهين. (2016). *المدرسة القرآنية ودورها في تطوير النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة* (رسالة ماجستير).

32. النضيري، عيدروس بن علي. (1965). *بغية الآمال في تاريخ الصومال* . مطبعة السلام.

33. هندي، صالح وآخرون (2013) *الثقافة الإسلامية* ، دار الفكر,

34. دارور. (2019، 16 نوفمبر). كيف انتشر الحجاب في الصومال؟ (مقال). موقع دارور الصومالي.

35. ورسمه، عمر محمد. (2020، 22 يونيو). خلاوي القرآن في الصومال (الدكسي). منشور على فيسبوك.